«وتكون ... قبيا» مشروع في توثيق الذاكرة

إبراهيم الأجرب

مقدمة

مشروع «وتكون .. قبيا» يأتي ضمن برنامج التكون المهني في مدرسة ذكور قبيا الثانوية، بالتعاون مع مركز القطان للبحث والتطوير المهني/ مؤسسة عبد المحسن القطّان، وهو مشروع تعلمي مجتمعي يتمحور حول مجزرة قبيا، ويهدف إلى توثيق حكاية المجزرة كما يرويها أهالي القرية الذين عاصروا الحدث وأسر الضحايا، بهدف تخليد ذكرى الشهداء عبر أشكال فعل متعددة: فيلم وثائقي، كتيب، نصب تذكاري ...، ويهدف في المقابل إلى إكساب الطلاب المشاركين في المشروع مهارات وخبرات تعليمية مختلفة، من خلال انخراطهم في المشروع، وعبر مروهم بمجموعة من النشاطات والتجارب المختلفة، فهو مشروع مدرسي يهدف إلى التعليم أولاً، وإلى المساهمة في إنتاج التاريخ وإعادة بناء الذاكرة عبر هذا العمل.

من خلال العمل في مشروع «وتكون ... قبيا»، تنوعت أعمال الطلاب بين البحث وجمع المعلومات والصور المتعلقة بمجزرة قبيا، والمقابلات المصورة، والرسومات، وتمثيل الأحداث بالرسوم المتحركة والملتينة، مروراً بمهارة منتجة الأفلام، انتهاءً بالتحضير وإعداد يوم لإحياء ذكرى المجزرة والإشراف على فعالياته. وكانت تجربة عظيمة كما وصفها أحد الطلاب المنخرطين في المشروع دون مبالغة. هنا يكمن المعنى الحقيقي للتعليم، ليس التعليم القائم على الحفظ لمجرد تقديم امتحان أو الحصول على علامة. فمن خلال هذا العمل يشارك الطالب، يعمل، يقرر، يخطط، يدعو الناس، يقترح، ينظم، يرسم، يبحث ... .

فكرة المشروع

كانت فكرة العمل على مشروع تعليمي يتناول حكاية مجزرة قبيا تراودني منذ زمن، ولكن بأي طريقة، أو ما هي الطريقة الأمثل لتناول هذا الموضوع، لتكون الفائدة كبيرة، ويتحقق الهدف المرجو من تناوله؟ كيف ستجذب أو تثير اهتمام الطلاب لقضية حدثت قبل 60 عاماً تقريباً؟ هل سنقوم بقراءة بعض ما كتب عن المجزرة؟ هل سأكلف

الطلاب بعمل أبحاث تتناول حكاية المجزرة؟ أو هل سنقوم بجمع الروايات من الناس ومن أهالي القرية؟ استمر سيل الأسئلة إلى أن جاءت اللحظة المناسبة والسانحة التي لا يمكن أن تعوض، من خلال التحاقي مع مجموعة من الزملاء من المعلمين والمعلمات في دورة للتكون المهني في مركز نعلين للمعلمين التابع لمركز القطان للبحث والتطوير المهني بإشراف الباحث مالك الريماوي. هذا البرنامج «التكون المهني» كان يهدف بالأساس إلى تزويد المعلمين في المدارس مهارات ومعارف وأساليب تعليمية وتربوية جديدة في التعليم مثل «الدراما في التعليم، التعليم عبر المشروع، التعليم ضمن سياق» لينقل هؤلاء المعلمون هذه المهارات والأساليب إلى مدارسهم ليطبقوها ويمارسوها في تعليمهم، لخلق تعليم نوعي يتجاوز التعليم القائم على التلقين والحفظ الفاقد للمعنى.

في البداية، كتب المعلمون قصصهم وحكاياتهم في التعليم، وإن كانت تجربة كتابة القصة بسيطة في شكلها الظاهري، إلا أنها كانت ذات معنى كبير كعملية كتابة وتوثيق، وما هي إلا بداية لتكون بعدها حكاية التعليم عبر تجارب تعليمية أكبر وأشمل تمارس ضمن مشروع تعليمي خاص.

بعدها بدأ التنسيق المستمر بين المعلم والمدرسة من جهة، ومركز القطان للبحث والتطوير التربوي من جهة أخرى عبر الباحثين في مركز القطان. بدأ الحديث عن مشروع ينفذ من خلال المدرسة وطلابها وبدعم ومساندة من باحثي مركز القطان، وبالتحديد الباحث مالك الريماوي والمنسق عبد الكريم حسين اللذين كانا مواكبين للمشروع أولاً بأول.

بالنسبة للصف المناسب لعمل هذا المشروع، فقد تم اختيار الصف العاشر الأساسي؛ كونهم مناسبين من ناحية عمرية لتحمل أعباء المشروع، والقدرة على إنجاز المهمات اللاحقة المطلوبة، وكذلك كوني أدرس هذه المرحلة.

بدأت أطرح فكرة المشروع على طلاب الصف العاشر، وبعد أن أوضحت لهم نيتي للعمل معهم على مشروع تعليمي معين يتناول إحدى القضايا المهمة، طلبت من الطلاب إذا كان عندهم بعض الاقتراحات لمثل هذه المواضيع والقضايا إذا كانوا يرغبون في دراستها والعمل عليها من خلال مشروع تعليمي. تحدث البعض عن مشكلة التسرب من المدارس، والبعض عن معالجة النفايات المنتشرة في القرية، واقترحت عليهم العمل عل مشروع يتناول مجزرة قبيا، ولاحظت رغبة وتجاوباً كبيرين عند الطلاب لتناول هذا المشروع من خلال سياق تعلمي، لأنه يمس حياتهم وبلدتهم وأسرهم، وكذلك لأنه لا يتوفر لديهم المعلومات الكافية الصحيحة عن حدث تاريخي مهم مر على قريتهم، كذلك معالجة التقصير الناتج في التعامل مع تلك الحادثة، فكان القرار الأولي هو إمكانية العمل على مشروع "وتكون .. قبيا" الذي يتناول حكاية المجزرة ضمن مشروع مدرسي تعليمي.

التفاوض مع الطلاب

بدأت أتفاوض مع الطلاب حول مدى أهمية العمل في مشروع يتناول حكاية مجزرة قبيا، وما هي الأهداف التعليمية والاجتماعية والوطنية التي قد تتحقق من خلال العمل بهذا المشروع. وكخطوة أولى، طلبت من الطلاب تقديم ورقة يبينون من خلالها آراءهم، ووجهت إليهم سؤال: "لماذا من المهم العمل على هذا المشروع حسب اعتقادهم" أو بصيغة أخرى "ما هي مجالات التعلم الممكن أن تتحقق في هذا العمل؟". أردت من خلال إجابات الطلبة أن يبنوا تصوراً

أولياً قبل المشروع، ما الذي يتوقعونه من خلال العمل في هذا المشروع، فكانت بعض الإجابات "أن نخلد ذكرى الشهداء من خلال العمل وتوثيق أسماء الضحايا، إحياء لذكرى المجزرة وتوضيح للعالم الخارجي جرائم الاحتلال ..."، هذا من ناحية وطنية وتاريخية.

كذلك تم التفاوض مع الطلاب حول المهارات التي قد يتوقع الطلاب أن يكتسبوها من خلال العمل بالمشروع، فأبدى الطلاب أجوبة مثل مقابلة الأشخاص والحديث معهم، وطرح الأسئلة والانخراط مع المجتمع وقضاياه، والتصوير، والرسم، وتعلم التاريخ، والجغرافيا.

كذلك تم التفاوض مع الطلاب حول المنتج النهائي (المخرج النهائي) للمشروع، أو بماذا يمكن أن يتوج مشروع تعليمي يناقش مجزرة قبيا، فمنهم من قال إنتاج كتيب عن المجزرة، إنتاج فيلم وثائقي، بناء نصب تذكاري يخلد ذكرى الشهداء، رسم خريطة القرية .... . وتوصلنا في نهاية النقاش والحوار إلى العمل على هذا المشروع لما بدا جلياً أهمية هذا العمل من الناحية التعليمية والمهارات التي يمكن اكتسابها وممارستها خلال العمل بالمشروع، فكان القرار البدء بتنفيذ المشروع.

التخطيط الأولي للمشروع

في بداية المشروع، كان الغموض سيد الموقف، كيف ستكون البداية، من أي نقطة سننطلق، ما هي المهارات الواجب امتلاكها حتى نستطيع العمل؟ ما هي طبيعة الأسئلة التي سنطرحها على الأشخاص الذين سنقابلهم؟ وكيف سنوثق حكاياتهم وقصصهم؟ هل سنصور باستخدام أدوات التصوير أم سنوثق كتابياً؟ وما الفرق؟ هل سنجمع معلومات بحثية (أرشيفية) أولاً أم ماذا؟ كيف سنستخدم هذه المعلومات ونوظفها في عمل منتج نهائي للمشروع وكأننا نريد عمل المشروع بخطوة واحدة؟ ما هي وظيفة كل مشارك في المشروع؟ ما هي وظيفة المعلم؟ وكيف سنقسم الأدوار؟ بصراحة، كان الغموض يكتنف العمل في البداية، ولكن في الحقيقة تبين أن هذا الغموض هو أول مراحل التعلم، وهو أمر طبيعي؟ ولكن بصراحة، الغموض بدأ بالزوال مع بدء العمل، عليك الانطلاق من نقطة معينة ولا يهم أن تكون تمتلك المهارات اللازمة لعمل نشاط معين قبل عمله، ولكن هذه المهارات تكتسبها أثناء عمل الأنشطة المختلفة في المشروع، وهذا هو جوهر عملية التعليم بهذه الطريقة؛ أن تكون مجبراً على امتلاك مهارات معينة لتجاوز كل مرحلة من مراحل المشروع.

ولتجاوز هذا الغموض، وضعنا في البداية خطوطاً عريضة للعمل، ليس بالضرورة الالتزام الحرفي بها، ولكن للمساعدة في تنظيمه، وكان ذلك من خلال اجتماعي مع الطلاب المشتركين في المشروع بشكل دوري أثناء الاستراحة، أو حتى اللقاءات بعد الدوام، وتم الاتفاق على عمل الآتي:

» تقسيم الطلاب إلى مجموعات، بحيث تشترك كل مجموعة في إنجاز جزء من المهمات.
» مقابلة كبار السن من الأهالي الذين عاصروا المجزرة وتوثيق رواياتهم.
» مقابلة عائلات الشهداء، وتوثيق قصص استشهاد أبنائهم.
» مجموعة تقوم بجمع أسماء شهداء المجزرة.
» مجموعة تقوم بتصوير المقابلات بالفيديو.
» جمع معلومات بحثية من أشخاص عملوا وبحثوا في الموضوع سابقاً.
» مجموعة تقابل أشخاصاً من المجتمع المحلي (رئيس المجلس، إمام المسجد ...).
» مجموعة متخصصة في جمع مادة أرشيفية عن المجزرة من المكتبات والإنترنت.
» مجموعة قامت بالتحضير لرسم خارطة القرية.
» كان هذا التخطيط الأولي لمعرفة كيفية سير العمل بشكل أفضل، ولإزالة الغموض، وبخاصة في البداية، وكيف يمكن استغلال كل ما سبق للوصول لإنتاج فيلم وثائقي يوثق حكاية المجزرة.

«وتكون قبيا» في السياق التاريخي: لمحة عن المجزرة

حدثت مجزرة قبيا في ليلة 1953/10/14 في قرية قبيا الواقعة غرب رام الله، وتبعد عنها حوالي 30كم، وراح ضحيتها ما يقارب 77 شهيداً، وهدم حوالي 56 منزلاً من بينها مدرسة القرية الأساسية. فبعد العام 1948، ونزوح كثير من اللاجئين إلى القرية، وكان كثير من اللاجئين يتسللون إلى قراهم في محاولة للوصول إلى منازلهم ومزارعهم لاستعادة ما تبقى منها، وبخاصة القرى المهدمة مثل السافرية، والعباسية، وجمزو، وبيت نبالا، والطيرة، ودير طريف.

في 1953/10/13 زعمت إسرائيل أن ثلاثة من العرب تسللوا إلى داخل الحدود، وألقوا قنبلة يدوية على نافذة مضاءة في مستعمرة «تيرات يهودا»، هذا هو السبب المباشر لهدم قبيا حسب الرواية الإسرائيلية، حيث قامت الوحدة 101 وفرقة المظليين التي كان يترأسها شارون، بارتكاب المجزرة، وكانت القرية في ذلك الوقت تحت حراسة ما يسمى الحرس الوطني، وهم حراس ليليون من القرية مسلحون ببنادق إنجليزية مع 10 طلقات لكل شخص.

كيف سار المشروع (أهم المهمات المنفذة)

بالرجوع إلى التخطيط الأولي، تم تنفيذ المهمات الآتية أثناء المشروع وجمع بعض الروايات.

قام الطلاب المشاركون في المشروع بحصر كبار السن الذين عاصروا المجزرة ومقابلتهم، وتم جمع وتوثيق رواياتهم لما حدث كما عاصروها، فالبعض كان يحدد وينسق للمقابلات، والبعض يوجه الأسئلة، وآخر يقوم بالتوثيق الكتابي، وآخر كان يوثق بالصور الثابتة، وكذلك توثيق بالفيديو ليتم استخدامها في أغراض التوثيق، وتزويد كل من يحتاج إليها لنواحي تعليمية وغير ذلك، ومن بين الروايات التي تم جمعها من خلال المقابلات:

مقابلة الحاج أبو نبيل (البدوي): هو أول جريح في المجزرة والشاهد الرئيسي عليها، مع أن العمر تقدم به ويبلغ الآن 83 سنة. يقول أبو نبيل: بينما كنت أنا وزميلي المدعو مصطفى حسان نعمل نواطير زيتون في ليلة 1953/10/14، قرب الساعة الثامنة مساء في أطراف القرية من الجهة الشمالية، فاجأتنا مجموعة من الجنود اليهود، وقاموا بربطنا واقتيادنا باتجاه القرية. ويضيف أبو نبيل الذي كان حينها في ريعان شبابه أنه شعر أن الرباط لم يكن محكماً فقام بفكه دون أن

يحس الجنود، وكانت المنطقة مليئة بشجر الصبر واستغل ذلك. وقمت –يقول أبو نبيل– بدفع الجندي واندفعت مسرعاً باتجاه القرية وقاموا بإطلاق الرصاص علي وأصبت برصاصتين إحداهما في اليد والأخرى في الفخذ العلوي، لكنني استطعت المواصلة وأخبرت سكان القرية بوجود اليهود ونيتهم هدم القرية. أما زميله الآخر، وكان كبيراً في السن، فقام اليهود بإعدامه وهو أول شهيد في المجزرة.

السيد محمد خليل (أبو صلاح): يروي حكايات أخرى من قصص الضحايا، ويحدث عن عائلة عبد المنعم قادوس المكونة من 13 فرداً، وكيف تم إعدامهم جميعاً بالمتفجرات داخل بيتهم، إضافة إلى ضيف كان يبيت عندهم من قرية جمالا كان مصيره أن يموت مع هذه العائلة، و لم يعرف اسم الضيف حتى الآن. وفي رواية أخرى يحدث أبو صلاح عن إعدام عائلة الأستاذ موسى الغول، الأستاذ الوحيد في مدرسة القرية في ذلك الوقت، هو و5 من أفراد عائلته وهم من اللاجئين من قرية العباسية.

الأستاذ محمد عقل غيظان: ينقل عن رواية والده وعمه اللذين توفيت زوجتيهما في المجزرة وكانتا حوامل، إضافة إلى 5 أفراد آخرين من العائلة، حيث تم زرع جوانب البيت بالديناميت وتفجير البيت على سكانه.

يروي الحاج إبراهيم حماد كيف نجت عائلته المكونة من 24 فرداً من الموت بأعجوبة، حيث كانت تختبئ تحت إحدى زوايا البيت التي كانت تسمى (الراوية) فدخل اليهود وهدموا جزءاً من البيت، ولكن لم يدخلوا الجزء الذي تختبئ به العائلة. وبعد مغادرة اليهود وخرج الأهالي، انهار السقف بعد خروجهم بدقائق، ولو تأخر خروجهم لدقائق لارتفع عدد الضحايا واستشهد جميع أفراد العائلة.

كذلك من الأنشطة والمهمات الأخرى التي نفذت خلال المشروع، قام الطلاب بجمع أسماء الشهداء وتعدادهم، لأنه لوحظ أن هناك نقصاً هائلاً في عملية توثيق أسماء الشهداء، ونقصاً في المادة الأرشيفية المتعلقة بأسماء الشهداء كاملة بسبب التقصير والإهمال الذي تراكم مع مرور الوقت، وكذلك هجرة بعض أقارب الضحايا إلى الأردن وإلى دول أخرى. فقام الطلاب بجمع أسماء الشهداء الذين سقطوا في المجزرة فرداً فرداً، وعدم الاكتفاء بأسماء العائلات فقط كما هو موجود في بعض التوثيقات، وقد تم جمع أسماء الشهداء، بالاعتماد على المصادر البشرية مثل عائلات الضحايا والناس المعاصرين للمجزرة، وعلى بعض الكتيبات الموجودة.

كذلك من المهمات التي نفذت في المشروع كانت مجموعات مرافقة تقوم بتصوير كل المقابلات بالصور المتحركة والثابتة بهدف استخدامها في إنتاج الفيلم كما هو مخطط له، فقد تم تزويد الطلاب وفريق المشروع في المرحلة الأولى بكاميرات بسيطة للتصوير من مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، لتصوير المقابلات وتوثيقها بالصوت والصورة.

وبهدف إعادة إحياء ذكرى مجزرة قبيا كمسألة حاضرة، قامت مجموعة من طلاب المشروع بمقابلة شخصيات من المجتمع المحلي (رئيس المجلس القروي، إمام المسجد، شخصيات اعتبارية أخرى ...) بهدف دراسة كيف يمكن تخليد ذكرى هؤلاء الشهداء، والدور الذي يمكن أن يقدموه في سبيل ذلك.

من المهمات الأخرى والمتعددة، انطلقت مجموعة من الطلاب لجمع كل المواد الأرشيفية حول مجزرة قبيا، بحيث توزعوا بين المكتبات وصفحات الإنترنت والمؤسسات المختلفة (المصادر المكتوبة)، بحيث قام كل طالب بتقديم مساهمته في هذا العمل.

كذلك من المهمات والنشاطات التي تم تنفيذها خلال المرحلة الأولى من المشروع، قامت مجموعة من الطلاب بالتحضير ورسم خارطة للقرية توضح من خلالها:

» المناطق التي استهدفت أثناء المجزرة في القرية.

» مواقع البيوت التي هدمت.
» أماكن دفن الشهداء في بعض المقابر والآبار.
» كيفية دخول اليهود القرية والجهات التي دخلوا منها.

كل ذلك من أجل إعادة إحياء وتصور كيف حدثت المجزرة (إعادة تمثيل التاريخ)، ليس لمجرد رسم الماضين ولكن، في الحقيقة، الطلاب كانوا يرسمون دورهم في المستقبل عندما كانوا يرسمون خريطة قريتهم.

ومن مبادرات الطلبة خلال المشروع، قام بعضهم بتصميم صفحة للمشروع على موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك)، من أجل التواصل أكثر مع أكبر عدد ممكن من الناس، وكذلك الطلاب الآخرين، ونشر كل المعلومات والصور والوثائق التي كانوا يحصلون عليها أثناء عملهم بالمشروع، ما زاد من اندماج طلبة المدرسة بشكل خاص في المشروع، وكذلك المجتمع المحلي.

مرحلة التحضير لإنتاج فيلم «وتكون .. قبيا»

بعد المرحلة الأولى من العمل والكم الهائل من المقابلات المصورة والتوثيق الجيد لأسماء الشهداء، وروايات كبار السن التي تم جمعها عن الموضوع، تم التخطيط لاستخدام هذه التوثيقات لإنتاج فيلم وثائقي يتناول المجزرة كما يرويها أهالي القرية وأسر الضحايا.

في البداية، تمت مراجعة المواد المصورة كافة، ومشاهدتها من قبل طلاب المشروع، وكذلك تمت مشاهدتها مع باحثي مركز القطان ووحدة الملتيميديا في المركز، وبشكل خاص مع الباحث كفاح الفني. لوحظ أن جزءاً من المادة المصورة غير صالح وغير مناسب من ناحية فنية، وأن جودة الصور لا تصلح لإنتاج فيلم، فقد تقرر، وبالتنسيق مع قسم التصوير في «القطان»، إعادة بعض المقابلات، وإعادة تصويرها بكاميرات حديثة، يقوم مركز القطان بتزويدنا بها، بعد أن قام فريق من «القطان» بتدريب الطلاب على التصوير، وإجراء المقابلات. وتكمن أهمية هذه المرحلة (عند إعادة التصوير والمقابلات مرة أخرى) في:

» إعادة تحسين نوعية الأسئلة عن المرة الأولى عند المقابلة.
» مهارة أكثر في المحاورة والاستماع.
» تحسس النقص في المادة التوثيقية السابقة.
» جدية أكثر ومسؤولية في العمل.

فتمت إعادة تصوير كل المقابلات بعد التنسيق مع كل الأفراد الذين تمت مقابلتهم، ولوحظ تقبل كبير من الأشخاص الذين تم العمل معهم.

ورش تدريبية لطلاب مشروع «وتكون .. قبيا»

التحق طلاب المشروع بدورة استخدام «برنامج أدوبيب بروميير» المتعلقة بمنتجة الأفلام في مركز المعلمين في نعلين التابع لمركز القطان لمدة 4 أيام، وقد اكتسب الطلاب خلالها مهارات عالية في استخدام البرنامج، وظفوها فيما بعد في منتجة فيلم «وتكون قبيا»، فكان طلاب المشروع في كل مرحلة يضيفون مهارات نوعية وتقنية إلى جانب المهارات الاجتماعية والتعليمية الأخرى من المشروع، فقد استفاد الطلاب استفادة واسعة على صعيد المهارات التقنية مثل (قص، لصق، إضافة مؤشرات صوتية ... وكثير من المهارات في استخدام البرنامج وطبقوها في العمل).

التحق الطلاب كذلك بورشة فن التصوير بإشراف كفاح الفني في مركز المعلمين في نعلين لمدة يومين، ليستطيعوا التصوير بشكل أفضل. وقام الفني فني بتزويدهم وتدريبهم على كثير من المهارات والتقنيات في التصوير، وإعطائهم تمارين عملية واستخدام أدوات التصوير بالشكل الصحيح ليقوموا بإعادة إجراء المقابلات.

التحق الطلاب بورشة أخرى حول استخدام الرسوم المتحركة والملتينة في التعليم (animation) بإشراف كفاح الفني، وذلك من أجل تمثيل بعض أحداث المجزرة باستخدام هذه التقنية،

واستغلال هذا الأسلوب لما يحتويه من مهارات تعليمية رفيعة، وقد تم تدريبهم على استخدام تلك التقنية الحديثة في التعليم التي تجمع مهارات مختلفة مثل الرسم والأشكال واستخدام برامج الكمبيوتر وبناء الشخصيات وبناء قصص. وكانت بالفعل نشاطات ومهمات غزيرة في التعليم لا يمكن وصفها، وقد خرج الطلاب بانطباعات مثيرة حول هذا النوع من التعليم الذي لا يمكن أن يحدث إلا بهذه الطريقة.

مرحلة منتجة الفيلم بصورته النهائية

للخروج بإنجاز أو بمخرج نهائي للمشروع يتوج به العمل المتعب والشاق الذي مر به فريق المشروع، وبعد أن أصبح الطلاب يمتلكون المهارات التعليمية والتقنية للمرور بهذه المرحلة بمساعدة وحدة الملتيميديا في مركز القطان، انخرط طلاب المشروع في العمل مدة 5 أيام متتالية في مركز القطان بإشراف كفاح الفني، وبدأوا بتجميع كل المادة المصورة والمقابلات وجميع الصور الثابتة عن العمل وعن القرية، وقاموا بمراجعتها وإعادة مشاهدتها لمرات عدة. وكانت هذه المقابلات تقدر بالساعات. ولأنه اتفق على أن تكون مدة الفيلم بين 30-40 دقيقة، بدأ الطلاب بعد مشاهدة ومراجعة المادة، بتنفيذ المرحلة التالية من المنتجة وشملت قص المقابلات واختيار المقطع أو المقاطع المناسبة من كل مقابلة. وقد وضع الطلاب في هذه المرحلة في موقف صعب لاختيار وقص المقابلات، لأنهم كانوا يشعرون أن كل مقابلة تحمل جزءاً مهماً، فمروا بعملية عصف ذهني لاختيار الجزء المناسب من كل مقابلة، بحيث تكون المقابلات مكملة لبعضها البعض. كما استخدم الطلاب بعض التقنيات الأخرى في المنتجة مثل اللصق وإضافة مؤثرات صوتية والتنقلات من مقطع إلى آخر ... .

ومن الأشياء المهمة التي عملها الطلاب في هذه المرحلة، تمثيل وإنتاج مقطع من أحداث المجزرة باستخدام الصور والرسوم المتحركة والدمى، بعد أن تلقوا التدريب السابق على ذلك، فقاموا بتمثيل قصة البدوي (ناطور الزيتون) هو وزميلة، وكيف استطاع الهرب، بينما أعدم زميله الطاعن في السن. نعم عندما تعمل بهذه الطريقة فأنت تمتلك المهارات المتنوعة وعليك معرفة التاريخ والجغرافيا والرسم والتكنولوجيا واستخدام التقنيات المختلفة، فالمرور بهذه التجربة من بداية المشروع حتى إنتاج الفيلم، خلقت المعنى الحقيقي للتعلم .. فهنا نتعلم لننجز. هنا لا يجبرك امتحان أو علامة للتعلم، ولكن أنت في سياق المشروع تندفع طواعية للتعليم رغبة في الإنجاز مع أنه لا توجد علامات ولا امتحانات.

إحياء ذكرى شهداء المجزرة وعرض الفيلم

وتتويجاً لهذه المرحلة من المشروع، وإحياءً لذكرى شهداء مجزرة قبيا، قام طلاب مدرسة ذكور قبيا الثانوية، بالتعاون مع مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، بالتخطيط والإعداد لهذا اليوم، وهم بذلك مروا في تجربة أخرى في التعليم حتى وصلت إلى مهارة التخطيط للمناسبات، والتنظيم والتنسيق مع الجهات المعنية كافة؛ سواء المدرسة، أو النادي الرياضي، أو المجلس القروي. فبدأ طلاب المشروع وطلاب المدرسة، بالتعاون مع عدد من المدرسين الآخرين، في التحضير لهذا

اليوم وفعالياته، وبذلك أصبح مشروع «وتكون قبيا» مشروع مدرسة بالكامل، ليس مجرد مجموعة من الطلاب فقط تمارس بعض النشاطات، فكانت كل مرحلة من مراحل هذا المشروع تنقل مستوى الانخراط في العمل، وتقود العمل إلى مستوى أعلى. ومن الأعمال التي شارك فيها الطلاب واشرفوا عليها، إعداد الصيغة الأولية للدعوة لهذا اليوم، بالتعاون مع مركز القطان، وكذلك تحضير نشرة موجزة عن المشروع وزعت يوم الاحتفال، واختيار الصور.

كذلك قام الطلاب بالتحضيرات التي سبقت يوم الإحياء من تعليق بوسترات المشروع، وتوزيع الدعوات على أهالي القرية في كل بيت، وعلى بعض الجهات في القرى المجاورة. كما قاموا بتجهيز ساحة الاحتفال ليكون جاهزاً ليوم الإحياء واستقبال الضيوف. وقد أحيت المدرسة هذه المناسبة، بالتعاون مع مركز القطان، الذي تكفل بكل احتياجات هذا العمل في يوم 2012/10/16، وقد بدأ اليوم بعرض كشفي باتجاه أماكن بعض الشهداء، ووضع إكليل من الزهور بجانب ضريح الشهداء، كذلك كلمة لمدير مدرسة قبيا الثانوية السيد عبد الرحيم ذياب، الذي رحب بالحضور وبهذا العمل وبإنجاز طلابه في هذا المشروع، وشكر مؤسسة عبد المحسن القطان على احتضانها ودعمها لهذا العمل، وكلمة لمركز القطان ألقاها الباحث مالك الريماوي، وكلمة لأحد الطلاب المشاركين في المشروع، كما كان هناك عرض فني لفرقة دار قنديل، ومعرض فني يوثق تاريخ المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني.

كانت الفقرة الأهم في يوم الإحياء عرض فيلم «وتكون قبيا» في إحدى قاعات مدرسة ذكور قبيا الثانوية الذي لاقى إعجاباً شديداً من الحضور. وقد صرح أحد الحضور معلقاً إن هذا العمل فشلت بعض الجهات والأحزاب في تنظيمه بهذا الشكل، فيما نجح طلاب مدرسة بهذا العمل عندما وجدوا من يقدم لهم العون والمساعدة.

السيد عبد المحسن القطان يحضر يوم الإحياء

وكان من بين الحضور السيد عبد المحسن القطان رئيس مجلس أمناء مؤسسة عبد المحسن القطان وزوجته السيدة ليلى القطان، والسيد زياد خلف مدير عام المؤسسة، والسيد وسيم الكردي مدير مركز القطان، وعدد من العاملين في مؤسسة عبد المحسن القطان. وفي نهاية عرض الفيلم، اجتمع السيد عبد المحسن القطان بطلاب المشروع الذي بدوره شجعهم على الاستمرار وأعرب عن استعداد مؤسسة القطان لتقديم الاحتياجات كافة، سواء الفنية أو المادية.

وقد حضر هذا اليوم، عدد من مديري المدارس والمعلمين والطلاب من المدارس المجاورة ومدارس رام الله.

تأملات عامة حول المشروع

المشروع كسياق للتعلم: قد يكون إنتاج فيلم يوثق حكاية مجزرة قبيا غاية بالنسبة للطلاب، ولكن بالنسبة للمعلم فإنه وسيلة للتعلم، من خلال النشاطات التي يمر بها الطالب، والخبرات التي يكتسبها حتى الوصول إلى مخرج المشروع بصورته النهائية (في التعليم عبر المشروع المخرج النهائي للمشروع مهم، ولكن الأهم هي الخبرات التي اكتسبها الطالب للوصول لهذا المخرج).

وفي هذه المرحلة، يكون الطالب يعمل في منطقة تتقاطع فيها العلوم المختلفة، فمن جمع المعلومات التاريخية، والبحث، ورسم الخرائط، وتعلم الجغرافيا، إلى إتقان التصوير، وتعلم استخدام الأدوات المختلفة، واستخدام الحاسوب وبرامجه المختلفة، والقراءة، والكتابة، والاستماع، إلى خلق لغة تواصل وحوار مع كبار السن، إلى التخطيط والتنظيم لإحياء مناسبات، كل هذه المهارات بصدق مورست واكتسبت في كل مراحل المشروع «إذاً، أين يمكن أن يتوفر تعليم من هذا النوع؟» علينا أن نعيد النظر في طريقة تدريسنا بشكل جدي.

كذلك يمر الطالب بتحديات وصعوبات، ويتعلم كيفية مواجهتها، والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها. الطالب هنا يتحمل المسؤولية، فهو يؤثر ويتأثر بالعمل، ويقترح ويأخذ قرارات ويتحمل مسؤولية عمله.

دور المدرسة: التعلم عبر المشروع يعمل على تبديل دور المدرسة من مكان معزول عن المجتمع، وظيفتها تلقين المعلومات وتمارس طقوس الثواب والعقاب على الطلاب الذين لا يمشون على نمط معين، إلى مؤسسة مجتمعية رائدة، تؤثر وتتأثر بالبيئة المحيطة، ويكون لها الدور الرائد في صياغة ثقافة المجتمع وحياته، وبالتالي العمل بهذه المشاريع التعليمية والتربوية المجتمعية، فضلاً على أنها مشاريع تعليمية، فإنها تعيد للمدرسة مصداقيتها في المجتمع.

الانخراط في المجتمع: الطالب جزء لا يتجزأ من المجتمع، والتعلم عبر المشروع يعزز مساهمة الطالب في الحياة العامة، ما تجعل منه قابلاً لتحمل المسؤولية، يحمل جزءاً من هموم بلده، وتخلق منه إنساناً منتمياً إلى وطنه.

انطباعات الطلاب المشاركين

أجمع الطلاب المشاركين في المشروع على أهمية هذه التجربة، وأنها من أفضل لحظات حياتهم خلال وجودهم في المدرسة. الطالب تامر زكريا أحد المشاركين في المشروع قال: نريد أن نعمل شيئاً نفخر به، ونريد أن نشعر أننا قمنا بشيء مهم في حياتنا، عندما نتخرج من المدرسة نريد أن نتذكر هذا العمل لكي يبقى في ذاكرتنا طوال حياتنا.

وقال الطالب محمود حسن عبد الكريم: تعلمنا من خلال المشروع أشياء جديدة ومهارات ذات قيمة عالية، اعتقد أنه لا يمكن أن نحصل عليها لولا التحاقنا بهذا المشروع. فيما قال الطالب أحمد خالد: في البداية، كنت لا أعتقد أن التعلم عبر المشروع سيكون غنياً في المهارات والمعارف التي اكتسبناها، ولكن اتضح أن التعلم عبر المشروع موسوعة من المعارف المختلفة، تعلمنا الرسم، والتاريخ، والجغرافيا، ومقابلة كبار السن، والتعرف على لغة مخاطبتهم.

وقال الطالب عماد طارق: اندمجت كثيراً في عمل التمثيل في الرسوم المتحركة والدمى لبعض أجزاء المجزرة وأحداثها، اعتقد أنها مهارة جديدة، وأحب أن أطور نفسي في هذا المجال.

انطباعات المعلم

يعد العمل ضمن هذا الشكل من التعليم (التعلم عبر المشروع) ذا أهمية فائقة وفاعلة في التعليم، حيث أن المشروع الذي ينفذ داخل المدرسة التي وظيفتها تزويد الطلبة بالمهارات، يصبح له مدرسته الخاصة، لأنه من خلال المشروع، تستطيع أن تتعلم المهارات والمعارف كافة، فالمشروع يعلم التاريخ، والجغرافيا، والانخراط الاجتماعي، والعديد من المهارات، بحيث تصبح للطالب شخصيته الخاصة التي يستطيع من خلالها أن يقرر، ويشارك، ويتحمل مسؤولية، ويقدم مبادرات، وينجز مهام، ويبدع في نواحٍ أخرى.

لقد شاركت شخصياً في بعض المقابلات التي عملها الطلاب مع كبار السن، وزيارة بعض المواقع والآبار التي دفن فيها الشهداء، وحينها تمنيت أني لو شاركت في كل الأعمال بنفسي، لان الأمر اختلف كلياً عندما تشارك شخصياً في هذا العمل، وتشارك في تنفيذ المهمات.

استشعرت رغبة الطلاب، ولاحظت مدى إقبالهم على العمل في المشروع، دون أن يجبرهم أحد، ولا يوجد عقاب ولا مادة لها علامات في سجل العلامات المدرسي، ومع ذلك انخرطوا في المشروع أكثر بعد أن امتلكوا المشروع، وأحسوا أنهم يقومون بعمل يستطيعون أن يفخروا به، فالطلاب كانوا دائماً هم المبادرون إلى العمل، ويسألون متى سنعمل الخطوة اللاحقة.

مدرسة ذكور قبيا الثانوية – رام الله